

مغرب الغد بأنامل صغيرة

لا يمكننا أن نخفي هذا التقدم الكبير الذي يعيشه العالم حالياً... ولأن الطبيعة لا تحتل الفراغ... فإن من لم يتحرك ويتغير فستتجاوز الأحداث لا محالة... وكلما تأخر هذا التغيير كلما ازدادت تكلفته للأسف.

- إلى أين نسير؟
- إلى أين نمضي ونحن في زمان تشهد فيه جميع بقاع العالم تطورات متتالية و متسارعة؟
- وما محل المغرب من هذا التطور؟
- وكيف ننتقل من حالة الجمود إلى حالة الحركة والتنمية في الوقت الذي نخضع فيه لألف قيد وملايين العوائق يا ترى؟

يزخر المغرب بمؤهلات مهمة يمكن الاعتماد عليها للنهوض بتنميته وتسريعها فمنها ثرواته الطبيعية الهامة التي تشمل الموارد الفلاحية، الثروات المعدنية والسمكية... ومنها ما هو تاريخي باعتبار المغرب ذي حضارة عريقة و ثقافة متعددة... ومنها كذلك ما هو جغرافي.

إلا أن الأمم لا تقاس بثرواتها المادية وتراثها فقط... وإنما تقاس بوعيها... والتعليم هو أساس الوعي والعامل الأساسي للرفق بالأمة... ومنه فإن التعليم أول بوابه نحو المستقبل... فارتأينا أن نبحث في أمر تحرير عقل المواطن المغربي أولاً ليتمكن من الحركة والتفكير والإبداع وبالتالي التقدم... إذ يقول المثل: "العقل المكبل لا يخلف إنساناً حراً مبدعاً بل دمية تحركها الخيوط"... كما أن القرآن الكريم كذلك حث على النظر وإعمال العقل إذ قال تعالى: "وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟"...

ولعل من الضروري العمل بجهد للتقليص من نسبة الأمية إلى أقل نسبة ممكنة إذ يقول المثل كذلك: "يفعل الجاهل بنفسه مالا يفعله العدو بعدوه". كما يجب تطوير المدرسة العمومية

بضمان تعليم عصري ذو جودة عالية وذلك باختيار معلمين ومدراء ذوي كفاءة عالية و قدرة على صياغة رؤى بعيدة المدى ثم الارتقاء بمهنة المدرس و الاستجابة لمطالبه و الاهتمام به باعتباره ركيزة المنظومة التعليمية مما سيحفزه على بذل قصارى جهوده في التعليم.

وفي المقابل يجب تحفيز التلاميذ و الطلبة نحو استخدام مهارات التفكير التحليلي وحل المشكلات والعمل الجماعي عوض طرق الحفظ والتلقين و تربيتهم على السلوك المدني والقيم وذلك بإدماجها في الأنشطة المدرسية (تقديم مسرحيات، أناشيد، ألعاب جماعية وإنتاجها).

وكذلك يعتبر من الأساسى تشجيع البحث العلمي والاستثمار فيه فمجموع ما تنفقه جميع الدول العربية في هذا القطاع يعادل ما تنفقه ألمانيا على نفس القطاع... الشيء الذي لا يبشر بالخير.

و تكريسا لمبدأ تكافؤ الفرص و جب إعطاء أهمية قصوى للأقاليم الجنوبية التي تعرف نقصا حادا في عدد الجامعات و المعاهد و المراكز و الكليات مقارنة مع شمال المملكة. كما وجبت الإشارة إلى ضرورة الاهتمام بكلية الطب المترقب تشييدها بمدينة العيون مع المسارعة إلى استكمال تجهيزاتها العلمية و البيداغوجية في أسرع وقت .

كما يجب الاهتمام بالعالم القروي الذي يفتقر لأبسط المستلزمات التعليمية مما يحدث نتائج كارثية... و نطمح أيضا لمكافحة الهدر المدرسي أكثر... رغبة في حماية حقوق الإنسان الأساسية من أي هضم.

و كذلك نطمح في استمرارية و زيادة كفاءة مشروع تنويع العرض المدرسي و تطبيقه في جميع جهات المملكة... مدنا و قرى... دون تفاوت . ثم التشجيع على القراءة ، فالكتاب و عاء العلم و الثقافة . و كذا تنظيم معارض الكتب التي تزايد عليها الإقبال في هذه السنوات الأخيرة. ولعل تشجيع اللغة الانجليزية و الانفتاح على اللغات الأجنبية بصفة عامة و زيادة احتكاك المتعلم (ة) بها في المدارس خطوة مهمة نحو المستقبل الزاهر مع ايلاء الأهمية للغة العربية .

كما يجب أن تتوخى المنظومة التعليمية تنمية الحس النقدي لدى التلاميذ و زرع قيمة احترام البيئة فيه إلى جانب تربيتهم على حب الرياضة و الفنون مع ايلاء أهمية بالغة للعلوم .

و في إطار تشجيع التنافس الشريف والسعي نحو الأفضل نلتمس إقامة مسابقات بين مؤسسات تعليمية على المستوى الإقليمي و الجهوي ثم الوطني حول ألقاب و أهداف تربوية.

كلنا نعلم أن المغرب بلد متعدد الثقافات... إذن فمن الضروري تربية التلميذ (ة) على الاحترام والتعايش و ثقافة الحوار... و ذلك بتعبير المقررات المدرسية عن هذا التنوع و تعليم مميزاته للتلميذ (ة) منذ نعومة أظافره (1). فان هذا الغنى نقطة قوة لنا... ولن ننسى وجوب تعزيز الهوية الإسلامية المغربية (مع ضمان حقوق الأقليات) .

كما نلتمس اعتبار المثقفين صوت المجتمع ولسانه والعين التي يرى من خلالها ما يحدث في العالم من الأحداث بكافة أشكالها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية؛ لنشر روح

التفاؤل في المجتمع وغرس القيم الإيجابية بدلا من تلك السلبية و خاصة في هذه المرحلة الخطيرة التي يتعرض فيها المجتمع المغربي لهزات عنيفة تضر بمستوى وعيه ! وفي هذا الوقت الذي لبس فيه كثيرون ثوب التشاؤم والرثاء!!..

و لعل أقرب نموذج لنا هو سنغافورة...بلاد متعددة الثقافات...وعدت بأن التعليم هو السبيل الواحد بل الوحيد الذي يمكن أن يقضي على جميع مشاكل مجتمعها.... وبالفعل انعكس هذا على اقتصادها و أصبحت جمهورية سنغافورة تحلق الآن مع الكبار.

إلى جانب التعليم....إن القطاع الصحي يشهد ضعفا كذلك....مما يثير تساؤلات الشعب عن هذا الأمر؟ إذ تعتبر العناية بصحة المواطن حقا من جهة؛ وضرورة لتحقيق التنمية البشرية التي لا يمكنها أن تتحقق و المواطنون محاطون بالأمراض والعلل من كل جهة. و كون التمويل العمومي لوزارة الصحة لا يتجاوز خمسة بالمائة من ميزانية الدولة لن يساهم بتاتا في تنمية المغرب. ولن ينتج مستقبلا زاهرا بقدر ما سينتج مواطنين مريضين غير قادرين على النهوض من السرير.

ولذلك وجب معالجة الأمر من أصله والاهتمام بطلاب الطب و الصيدلة و التمريض و الإسعاف بالكليات و المراكز العمومية خاصة و بالاستجابة لمطالبهم. و ضمان التكوين المناسب لهم و المبني على رؤية إستراتيجية وعلمية. وذلك عن طريق تزويد كليات الطب والصيدلة بجميع المعدات التعليمية الحديثة وتوفير الظروف الملائمة للتعليم. كما وجب زيادة عدد هؤلاء الطلاب فنحن في بلد تجاوز عدد سكانها 35 مليون نسمة في حين لا يتجاوز عدد الساهرين على الصحة العمومية 50 ألف موظف. ولا يتجاوز عدد الأطباء 50 لكل 100 ألف نسمة. و توجب كذلك تخفيض أثمان الأدوية و تحسين المستشفيات و زيادة عددهم في جميع جهات المملكة -إذ أن المغرب لا يتوفر إلا على خمسة مستشفيات جامعية- مع تجهيزها بالمعدات الطبية والجراحية الحديثة. وأصبح من العاجل الاستعداد التام والجدي لمواجهة الأوبئة ففي المتوسط يظهر وباء كل 20 سنة. كما وجب العمل على نشر ثقافة الرياضة.

و نطمح للاستثمار والعمل على مشاريع الكيمياء الدقيقة وصناعة الأدوية. كما وجب الارتقاء بالمهنة الطبية وإبراز دور الأطر الصحية في المجتمع في ظل الضغط الكبير الذي تمارسه عليهم الساكنة. وعلى الرغم من كثرة المشاكل في هذا القطاع إلا أن إرادة سياسية قوية فاعلة و حقيقية كفيلة بتحقيق نهضة لا تتصور .

نبهت عدة تقارير إلى تباطؤ نمو الاقتصاد المغربي فسارعت المملكة المغربية إلى صياغة نموذج تنموي لتحريك عجلة الاقتصاد و تقليص الفوارق الاجتماعية.

ولعلنا نفتدي بتجربة جمهورية سنغافورة... ذات الاقتصاد سريع النمو.... ولكن هذا لا يعني أن ننسخ هذه التجربة طبق الأصل في المغرب. إذ قال البروفيسور المهدي المنجرة: "آن الأوان لأخذ المبادرات الفردية البعيدة عن التقليد الأعمى وذلك بالاعتماد على الهوية المغربية الحقيقية اجتماعيا وثقافيا ولغويا". فلكل مجتمع ودولة صنعها ومواردهما البشرية والاقتصادية وكذا سياساتهما العمومية المنفردة. و ما راكماته من مكتسبات اجتماعية واقتصادية. وهو ما ينطبق تماما مع نوايا صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله التي أعرب عنها في إحدى خطاباته قائلا: "النموذج التنموي الذي نطمح إليه جميعا هو نموذج مغربي.... مغربي خالص".

ولذلك فمن الواجب الاستمرار في إنشاء علاقات دبلوماسية مع مختلف الدول. و يعد تفعيل مشروع المغرب الكبير خطوة فعالة إذا تمت، أحدثت طفرة في الاقتصاد الوطني وذلك بتوقيع اتفاقيات للتبادل الحر والحفاظ على معيار التنافس الشريف بين الدول الأعضاء. كما نأمل لاستغلال الثروات الطبيعية استغلالا جيدا ورشيدا. ونلتمس منكم تطوير القطاعات الاقتصادية ودعم المشاريع و المقاولات الصديقة للبيئة وتشجيع الشباب في مجال التكنولوجيا و المعلومات وكذا استقطاب مستثمرين أجنب. و يتوجب إحداث مسابقات للمقاولين الشباب لتمكينهم من بدء مقاولتهم. ونطمح كذلك لجعل القطاع التجاري قطاعا حيويا في المغرب.

ومن الضروري أيضا تقليص نسبة البطالة و رفع الأجور و تقوية البنيات التحتية . ونلتمس توزيع العائدات بين إعادة استثمارها وبين وضعها في خزانة الدولة و صرفها على القطاع التعليمي و الصحي أولا ثم القطاعات الأخرى وكذا إشراك العاملين في القطاع الاقتصادي في النموذج التنموي والاستماع إلى اقتراحاتهم و مطالبهم و خاصة الفئات الهشة و اليد العاملة مع ضمان توفير تكوين مهني لهم . و توفير حقوق العاملين بالقطاع المهيكل وغير المهيكل وخاصة المستضعفين منهم بالمصانع والمزارع وتوفير حقوق عيشهم الكريم.

كما وجب تكوين لجنة من الباحثين يهتمون باستشراف مستقبل الاقتصاد الوطني.

ومن اللازم نهج إستراتيجية للتعامل مع الفوسفات كمورد طبيعي غير متجدد، فحسب 1دراسات يمتلك المغرب 75 في المائة من الاحتياطي العالمي...وان للمملكة احتياطي يغطي 700 سنة قادمة... وأكدت نفس الدراسة بان الفوسفات سيتحول إلى الثروة الطبيعية الأولى في العالم مزعزا عرش النفط بقوة...مما يحتم ضرورة التنبيه من دخول المغرب في اتفاقيات احتكارية...وإتباع منهج ذكي في هذا الجانب .

و مع قلة الأمطار...فان السدود لم تضحى كافية و يجب اللجوء لتحلية مياه البحر...لان الماء كنز لا يعرف معناه إلا القليل.

يعاني المغرب من مشاكل اجتماعية تنتشر أينما حللت وارتحلت. مما يعيق سيورة التنمية بهذا البلد. ولعل أهم هذه القضايا الاجتماعية نجد: مشكلة الفساد في مؤسسات القطاع العام والخاص معا (و الذي يمكن أن يصدر من الموظف أو المسؤول كما يمكن أن يصدر من المواطن)، ما يشكل انتهاكا لمبدأ النزاهة وتكافؤ الفرص و مخالفة للقواعد و الأحكام المالية المنظمة لسير العمل الإداري والمالي .وللقضاء عليها لابد من تخليق المؤسسات و فرض عقوبات صارمة و ربط المسؤولية بالمحاسبة و مراقبة المشاريع والصفقات. كما نجد أن هجرة الأدمغة قضية اجتماعية أخرى لا يستهان بها. إنها قضية اجتماعية تفتك بجميع القطاعات. ولعل الحل الوحيد لهذه المشكلة هو توفير بيئة مناسبة للتعلم والعمل مع الاستثمار في البحث العلمي والتعليم العالي و توفير عدد أكبر من مناصب الشغل اللائقة بالمستوى الفكري ثم التعليمي للفرد.

يشكل الأطفال 11 مليوناً من الساكنة المغربية. وتعتبر قضية الأطفال والطفولة قضية شغلت بال المغرب مند مدة. إذ يتوجب سن قوانين صارمة لكل من يشغل طفلاً أو طفلة تحت السن القانونية للعمل. وكذا لكل من زوج هذه الفئة العمرية وهذا لمنع تزويج القاصرات والقاصرين. كما يجب محاربة التشرد محاربة شديدة وإنشاء دور الأيتام و الأطفال المتخلى عنهم مع توفير جميع الظروف و مراعاة الصحة النفسية لهذه الشريحة.

و أرى انه من الضروري محاربة تهميش ذوي الاحتياجات الخاصة وعدم إدماجهم وذلك من خلال رعاية أصحاب الهمم وإدماجهم وتكوين أسرهم ، فهم قادرون على فعل المستحيل باختلافهم.

و لا ننسى ضرورة تدبير شؤون الهجرة و الاهتمام بالجالية المغربية خارج أرض الوطن.

كما نلتمس إنشاء صندوق الزكاة لمحاربة الفقر و تقليص الفوارق الاجتماعية مع ضمان التنظيم المحكم له . كما أنني اعتبر أن المجال القروي مليء بالطاقات البشرية و الأدمغة و مع ذلك يعرف نسيانا و تهميشا كبيرين نتجت عنهما الهشاشةفإلى متى ؟ و لذلك فإننا نطالب بجهود مضاعفة لاستدراك هذا الضعف الكبير ...

إن نجاح سيناريو التنمية يمكن أن ينجح نجاحا ساحقا ويثمر ثماره. إلا انه رهين بسرعة الإصلاح واحتواء الأوضاع. وبالإضافة إلى أن التركيز على كل مجال على حدة وتلبية كل حاجياته بتفان و إتقان ضروري لبلوغ النجاح في إي مشروع تنموي مهما بلغت بساطته.

و لو كان مغرب المستقبل يتحدث لقال لنا: "نعم... أنا المغرب كما لم تروني من قبل... كنتم ملايين الناس: شعبا و حكاما... تعاونتم... تضامنتم... ونهجتهم مقاربة تشاركية... صدقوني... أنا مغرب الغد الرائع... و أنا فخور بكم... عندما كنتم تتحرقون شوقا لتحقيقي... لم تدعوا الموت و الفقر و الأمية تسود أيامي... حافظتم علي و على أبنائي... على شيبتي و شبابي... و على كل نبض حي فوق ترابي... سعيد أنا لأنكم حرصتم على خدمة بعضكم البعض... قوي أنا لأنكم التزمتم و عملتم... وهاأنذا أتجمل لكم... فقريبا موعدا... صبرا جميلا، فإننا سنلتقي... نعم أنا مغرب الحضارة... مغرب الأمل... مغرب العلم... مغرب العمل... مغرب التنمية البشرية... مغرب التنمية المستدامة... مغرب التنافس الشريف... مغرب المحيط النظيف... مغرب الفنون... و مغرب الحق والقانون."